مجموعة "اليوم السابع" للكاتبة آمال الشاذلى نموذجا

تجليات القصة القصيرة جدا

بقلم شوقى بدر يوسف

للكاتبة آمال الشاذلى ثمة رؤية خاصة تجاه القصة القصيرة جدا فى سياقها الهاجسى والإبداعى، فهى مولعة بهذا اللون من الكتابة النثرية المكثفة والمقطرة، والقريبة جدا من قصيدة النثر بشاعريتها المفرطة وأفكارها المجنحة، وهى تنظر إلى حساسية محتوى النص القصصى القصير جدا من خلال زاوية خاصة لزاوية الرؤية فى سياقها الذاتى، حيث تسرد من الكلمات والمفردات القليلة المجتمعة فى حدث وامض لتساؤل منبعه الذات، تستخرج منه هواجسها تجاه الحدث وتبحث له عن إجابة مصدرها مجريات الواقع وما يحدث فيه على المستوى الفعلى والتخيلى من أحوال وأمور ورؤى وهواجس، وقد صدر للكاتبة فى مجال القص القصير جدا مجموعات "ضجيج الصمت"، و"لحظة اغتيالى"، و"لسبب ما"، وأخيرا جاءت مجموعة "اليوم السابع" لتطرح الكاتبة من خلالها رؤيتها الشعورية والشاعرية أبعادا تستهدف قضايا وإشكاليات الحياة والواقع فى رؤى فكرية تعتمد الواقع فى آلياتها وتجليات كتابتها، وقد سعت الكاتبة منذ مجموعتها الأولى إلى تطوير تجربتها الكتابية متحولة تدريجيا من القصة القصيرة إلى القص القصير/القصير ثم إلى القصة القصيرة جدا.

وتتسم مجموعة "اليوم السابع" الصادرة عن دار الأدهم بالقاهرة 2014 بعنصر المراوغة فى تشكل بنيتها كمختزل نصى للقصة القصيرة فى مضامين ومعادلات موضوعية منحها مصطلحها الشهير الـ ق. ق. ج والنهايات المفتوحة التى تترك للمتلقى حرية التأويل والتحليل واستكمال مجريات النص، وأحداثه المتخيلة عن طريق استدعاء الحدث الذاتى المتوائم مع ذائقته، والفكرة المعوّل عليها المضمون المتلائم مع ثقافته وذاقته الجمالية والحسية فى التلقى لتضمين النص بها، وقد وضحت هذه السمة منذ الاستهلال الأول للمجموعة خاصة فى نص "المصير" الذى بدأت به الكاتبة مجموعتها، واستخدامها لعنصر التنقيط بكثرة فى استكمال الحدث بعدد من النقاط ما يوحى بهذه السمة النسبية عند كل متلقى من خلال بلورة الذائقة الجمالية نحو التحليل والتفسير الذاتى. كما تتسم المجموعة أيضا بنزعة الشاعرية الكامنة فى اختيار المفردات ومحاولة موسقة جملها ومفرداتها قدر المستطاع، وتحديد ملامح المعنى فى حدثها الهلامى المتماهى دائما داخل نفسه وما يحتويه من أفكار وأحداث مضمرة وغير مضمرة، وهو ما نجده فى هذه الكثافة الشديدة للنصوص التى تصل حد التقطير فى المبنى والمعنى المراد التعويل عليه خاصة فى الجزء الأخير من المجموعة المعنونة "أوراد" والمقسمة إلى عشرة مقاطع نصية قصيرة جدا، كما نجد أيضا الصورة الشعرية الدرامية المعبرة عن تلاحم الشخصيات وتماهيها فى هواجسها الذاتية خاصة فى نصى "المصير"، و"مع سبق الإصرار" البادئة بهما المجموعة من خلال فعل الحديث وفعل النزف، وكلاهما يحدد ملامح ما يحدث حيث جعلت الكاتبة فعل النزف على هيئة حروف التشكيل المتناثرة كتابة، كما نجد ذلك أيضا واضحة فى نص "مع سبق الإصرار" حيث يشير النص ": صاغ من الحروف خناجرا، ثم راح يكيل لها وهو يتحدث، وهى تنزف، يتحدث و ت ن ز ف... حتى قضى نحبه غريقا فى دمائها....". كما أنها تلجأ أيضا إلى تناثر الكلمات فى محيط صفحة القراءة ليس الغرض تشتيت ذهن القارئ ولكنه لإعطائه فسحة من الوقت للتفكير والتمعّن والتأمل فى مضمون النص ومحتوى مضمونه.

ولأن القصة القصيرة جدا تحمل فى طياتها عنصر التجديد والتجريب فى شكلها وأيضا فى موضوعاتها ذلك أن الكاتبة تلعب على هذه الخاصية فى معظم ما أنجزته من نصوص فى هذه المجموعة وفى المجموعات السابقة عليها، وهى فى ذلك تقتفى خطى نجيب محفوظ فى آخر هواجسه القصصية "أحلام فترة النقاهة" التى وضع فيها خلاصة هواجسه الحلمية الذاتية، مستفيدة فى ذلك من تقنيات عدة فى القص الجديد أهمها ملامح تيار الوعى وتداعى الخواطر وشعرية اللغة، وحساسية الأفكار وتأزمات الواقع وغير ذلك من الموضوعات الجاسمة فى آفق الحياة بتنوع أشكالها ومضامينها. والمتتبع لقصص الكاتبة خاصة فى مجموعة الأخيرة "اليوم السابع" يجد ذلك واضحا فى العديد من قصص المجموعة نتمثل منها نص "تجاسر" الذى يقول ": تجاسرت وجابهته بالحقيقة.... تجاسر وحطمه .. ا.... فصارت الحقيقة ترشقه من كل صوت... تأجج غضبه... احتدمت معركته مع هشيمها، هو ين زف وهى تتجاسر... ين زف وتتجاسر.....". (ص36) كذلك نص "أنزواء" الذى يقول ": على مائدة المساء العجوزان جلسا يلتقمان من ثدى الذاكرة الضامر... وحين أوشكا على الهلاك التحفا بثوب الخرافة..... ولا يزالان....". (ص37) فى هذين النصين نجد حدث مضمر متماهى مع الحقيقة الغائبة يشير إلى نزف للذات الحانقة وتمرد وجسارة من الآخر الأنثى ونجد أن بعض المفردات تشتركان فى هذا النزف عن طريق استبعاد الحروف عن بعضها كجانب جالى بالدرجة الأولى وجانب لغوى تعبيرى مشارك فى تأصيل الحدث، كما جاء فى نصى البداية، بينما يبدو تمرد الأنثى وكأنه شئ أبدى لن يتوقف. وفى النص الثانى، نجد أن تيار الوعى يغلب على هاجس الكتابة من خلال هذه العجوزان اللذان يلتحفان بالذاكرة المنسية الضامرة وهى فى الرمق الأخير ولا يزالان على ذلك يلتحفان بنفس الرؤية السائدة ويحاولان استدعاء الذاكرة دون جدوى، ولعل قراءة النص وتلقيه بالمعنى الذاتى للمتلقى ربما يفجّر مضامين أخرى قد لا تقصدها الكاتبة فى معناها ولكن البنية النصية للنصوص ربما تؤكدها وتفجر ما وراء السطور من مضامين أخرى.

كما تستخدم الكاتبة أسلوب الراوى فى التعبير عن المعنى والبحث داخله عن زاوية الرؤية الكامنة فى محاولة لتبئير المعادل الموضوعى المعبر عن حيرة الذات فى تعاطى اللازمة، وهو ما نجده فى عدة نصوص نختار منها نص "أنا.. لشرودى" حيث تجسد العتبة الأولى للنص هذه السمة فى مفردة الأنا وتنهى الكاتبة النص بالمفردة الثانية لشرودى بعد أن ينجح اللاوعى فى الإيقاع بالحدث المكثف والمعبر عن معنى تشتت الراوى والشخصية معا": كلما شردت عن القطيع طاردنى الراعى... حين يفلح بالإيقاع بى، يتكشف له أن قطيعه قد تشتت... يعود هو للمطاردة، وأنا..... لشرودى....".

كما يلعب العنوان أيضا دورا مهما فى بلورة المعادل الموضوعى للنص وتحديد ملامحه ومحاولة الأمساك بمعناه والإيهام به داخل النص، ويغلب على عناوين نصوص المجموعة المفردة الواحدة، أو المفردتان الدالتان على المعنى والمغزى المراد التعويل عليه داخل النص، وهو ما نجده فى نصوص "طقوس"، "ندم"، " الحالم"، "الطعنة"، "لوثة"، "وفاء".... إلخ، كما نجده أيضا فى نصوص "أنا.. لشرودى"، " قرار بالهزيمة"، " رب ضارة"، " شبه يقظة"، "هزيمة اضطرارية"... إلخ، ويرتبط العنوان بدوال النص فى أبعاده الرمزية وتجليات اللغة ومحاولة ترميزها داخل جسم النص.

كما نجد أن كثافة الكتابة عند الكاتبة تبدو فى ملامح التشكل النصى وبنيتها اللغوية المكثفة، وانزياح المعنى وهذا الإيجاز الحامل على كاهله المعنى المضمر والتلميح والإيحاء غير المباشر حيث نجده فى نصوص عدة داخل المجموعة تتوحد فيه النكتة واللقطة المانحة رؤية التأويل، والقراءة المتفاعلة مع المعنى، وتفاعل البنية مع فكرة النص ذاته. ففى نص "وهم" وهو نص يشير إلى تناغم داخلى فى المبنى والمعنى يقول النص ": بسط جناحيه.. همّ بالطيران.. اصطدم بقضبان من صنع خياله.. فوقع". (ص58) كما تثير بعض نصوص الكاتبة فى تناص أدبى له حضوره الخاص مع عنصر الدهشة للنهايات المفتوحة والمقتضبة والحاملة معها تناغم البداية والنهاية ففى نص "آل زهايمر" نجد هذا التناغم المكثف، وعنصر التقطير اللغوى الحاضر فى كل كلمة ومفردة استخدمتها الكاتبة لتشييد نص قصير للغاية لكنه يحمل بعد حكائى حيك بعناية شديدة لمعنى يصل إلى كل متلقى بطريقة مختلفة نسبيا خاصة، وفى ذلك يقول النص ": تعاقد مع كبرى دور النشر على كتابة مذكراته.... وما إن عكف على التسجيل حتى خانته الذاكرة". (ص59)، وفى نص "عدالة" نجد المعنى يتقلص فى بعده الرمزى الساخر فى هذه الكلمات القليلة المعبرة عن واقع تشيكوفى واضح يقول النص ": اخترق مسمار حذاء الجنرال.. فتم اعتقال المسمار والعمال وتشميع المصنع". (ص65)، النص فى بعده الساخر يقوم على تصوير واقع مهمّش فى كلمات بسيطة معبرة، ولعل العدسة الساخرة تصب فى النهاية فى تعرية المجتمع بأسره. على الرغم من قصر الصورة وتكثيف حدثها إلا أنها تجسد هذا البعد الساخر من المجتمع برمته فى شخص هذا التملق الذى كان سائدا، والنص فى مشهديته يؤكد على معنى الدلالة الساخرة بشكل عام.

ولعل الكاتبة أرادت أن تبث فى بعض نصوصها البعد الواقعى السائد الآن فبدت بعض هذه النصوص حاملة ملامح تؤسس لمقومات سردية مبنية على التكثيف مع المعنى الحامل معه أفق التأويل والتلميح ففى نص "تعليمات واجبة" نجد هذا البعد المبنى على عنصر المفارقة فى المعنى يقول النص ": بينما يؤكد عبر أبواق مندوبى القنوات ووكالات الأنباء العالمية والمحلية أن ليس ثمة منقذ إلا "الحب" كان أحد أتباعه ينزع الفتيل". (ص67) وفى نص "العاهرة" يقول النص ": تنافس على قلبها الساسة ورجال الأمن والتجار.... وفاز به الداعية". (ص68)، كما ظهرت المفارقة واضحة جلية فى نصى "التماس"، و"التباس" من خلال الحيرة التى جمعت ما حشدته الكاتبة من دروب فى المعنى وقصور فى لغة التعبير، فكانت المفارقة واضحة جلية فى نص "التماس" من خلال الجرح الذى استعصى على الأطباء فصار بعرض السماء، وفى نص "التباس" حين وضحت الحيرة على الصخرة المؤنسنة حين التقيا عليها وقد وضح من بنية النص الذى بدأ بالتنقيط حيث كانت أحداث أخرى مضمرة وغير واضحة بدأ بها النص ولكنها همشت لغويا وجاء النص على هذا النسق ليعبر عن مضمون المفارقة ": ..... وأخيرا التقيا فوق صخرة نائية وسط ريح عاصفة.. وسؤال يصطخب برأس كليهما، من منهما الذى قضى نحبه أولا، هو أم هى؟ فبادلتهما الصخرة حيرتهما.....". (ص43)

وفى نص "اليوم السابع" الحامل للعنوان الرئيسى للمجموعة تجتمع أيام الأسبوع فى سياق تحولات الواقع منذ أن بدأت أيام الأسبوع تتواتر وتتوالى أيامها وساعاتها ولحظاتها على الصعيد السياسى الذى بدأ بثورة 25 يناير وبدأ الزمن يشارك مشاركة فعلية فى ثورة الشعب فى ميدان التحرير، ففى يوم السبت هتف الشعب "الشعب يريد إسقاط النظام"، وفى يوم الأحد تغير الهتاف إلى البحث عن المخرج لهذه الأزمة المتمثلة إلى جيش الشعب، بتحوّل الهتاف إلى ": واحد اتنين الجيش المصرى فين". وفى يوم الأثنين تحول النداء إلى النقيض ": يسقط يسقط حكم العسكر"، وفى يوم الثلاثاء يصمت اللسان ويصاب الجميع بالصدمة التى أفقدتهم النطق، وسرعان ما عادت الروح مرة أخرى يوم الأربعاء، وبدأ الهتاف مرة أخرى ": الشعب يريد إسقاط النظام"، وفى اليوم السابع (الحاسم) يبحث الشعب عن الجيش ويتردد هتاف البداية. النص من مضمونه نص سياسى ثورى يجسد رؤية المفارقة فى تحولات الواقع الثورى لثورة 25 يناير وما آلت إليه الأوضاع فى مصر. وفى قصة "على أية حال "عيد" تسكب الكاتبة فى هذا النص رؤيتها الذاتية حول العيد بشقيه المتخيل والواقعى من خلال صورتين تجسدان الواقع فى زمن قريب ": جلست أمام الشاشة ممسكة بورقة وقلمًا تنصت بدأب للشيف وهو... يتلو مقادير الكعك. بينما عينيها تسكب الدمع وهى تتبع الشريط الأسود أسفل الشاشة وهو يحمل جثامين ستة عشر جنديا قضوا نحبهم إثر طلق نارى من مجهولين". (56)، يشير هذا النص أيضا إلى مراحل التحوّل التى فرضها الواقع المأزوم للحالة السياسية الواقعة على المجتمع بعد ثورة 25 يناير، وتداعيات الهم الجاثم على صدر الناس فى كل مكان.

كذلك كان للنص الأنثوى فى مضمونه والمتعالق فى بنيته دور فى الحشد الخاص بهذه المجموعة النصية للقص القصير جدا فجاءت قصة "وتر مهمل" لتزيل الخواء الجاثم على صدر المرأة فى ظلمة حياتها حيث هذا الوتر المهمل التى تعيشه وتعايشه وتتوحد مع ظلاله فى هذا النص الذى يقول ": غاصت فى ظلام حجرتها الرطبة... تعانق السكون وتتوسد الصمت.... طال سهادها... طاااااال جدا.... فأشعلت آخر شمعة وراحت تراقص ظلالها". (ص38)، وفى نص "اجترار" تبدو انفراجة النفس مع ملابسها وألوانها وما تمنحه الملابس وفلسفتها الخاصة من أبعاد نفسية وحسية، وكأن هذا الاجترار النفسى والحسى نابع من خواء آخر كان جاثما على صدر المرأة فأرادت أن تتخلص منه، فقامت بفتح خزانة ملابسها علها تتعاطف معها وتتوحد مع حضورها الأنثوى وتكبح جماح ما يحدث لها من خواء ذاتى ونفسى جامح يقول النص ": فتحت خزانة ملابسها لعلها تعثر على ذكرى تبعث باعطافها... البهجة. فإذا بالحزن قد نسج شباكه على الأحمر والأصفر والأزرق... جذبت واحدا تلو الآخر تبادلوا على قوامها الذى لا يزال يحتفظ... برشاقته وتماسكه... فسرى الدفء وتبددت الكآبة، وحتى الآن تجهل مصدر الموسيقى التى تسللت إلى روحها". (ص39)

ويحمل النص الأخير من المجموعة عشرة مقاطع نصية تحت عنوان "أوراد" فى كل منها رؤية ومضمون لا يختلف عن باقى نصوص المجموعة إلا فى أنه يتسم بشعرية الشكل والمضمون فى معناه ومبناه وتحاول الكاتبة أن تصبغه بتجربة الذكرى، وتحوّل هذه الذكرى إلى تعبير فنى حيث ننسل من هذه الأوراد شعرية النص رقم 5 و 6 من هذه القائمة من الأوراد والقائمة على سلسلة من الأفياء والظلال والتوريات إلا أنها لا تنأى بنفسها عن التعبير الدال المنضبط مع الاقتصاد اللغوى، وهو منحى لغوى يقربنا كثير من قصيدة النثر القائمة على فيزياء الحالة وضوابط اللغة وتقنيات الشعر وهو ما سنجده فى هذين النصين، يقول النص الأول ": تلملم الأوراق الصفراء التى سقطت بساحة العمر... تضرم بها نيران حب لم يكتمل... تحوم حول دائرة النار... تتلو تعاويذ مبهمة وهى تطعم النيران بعرائس طفولتها المصلوبة على حائط الذكريات الذى اقتلعته الريح منذ قليل....". (ص76)، وفى النص الثانى يبدو خطاب النفس مع النفس فى مراوغة للحالة التى يبدو فيها أن لا تصالح استدعاء لمقولة "أمل دنقل" فى قصيدته المعروفة "لا تصالح" يقول النص ": يا سفينتى لا تصالح وإن فتحوا لك المرافئ... وإن جعلوا يابسة الأرض مدادا... يا سفينتى لا تصالح ولو أسالوا دمائهم لتكون لك بحارا لم يلجها غيرك ولن.... لا تصالح ولو شيدو لك آلاف المنارات... فلا تنخدعى... لا تنخدعى...وانتحرى... انتحرى على طريقة الساموراى... اغرسى سيفك فى أحشائك... فيكن فى منتصف القلب... شتتى شملهم فلا تصالح وإن سجدت الموانئ....". (ص77)

لعل هذا الطرح من القص القصير جدا فى مجموعة "اليوم السابع" للكاتبة آمال الشاذلى بسميائية المعنى وتجليات الكتابة القصصية المقطرة والمكثفة إلى أبعد حد، وروح الإيحاء والإيهام والمفارقات الكامنة فى أحداثه والترميز الواقع فى جنباته والاقتضاب النابع من الحذف والتوتر والشاعرية قد أحال هذه المجموعة إلى نموذج متميز من مجموعات القصة القصيرة جدا التى فرضت نفسها بإلحاح شديد على الساحة السردية المعاصرة فى كل المشاهد السردية على إطلاقها.

* كاتب من مصر

أفياء

محمد القعود

1

خذيني، وانصرفي،
ما عدت أنا، صرت غيري..
سأجلس على مقعدٍ في النسيان
هارباً من عدالة الذكريات،
ومن حبٍّ هزمني بالضربة القاضية.

خذيني، وانصرفي،
سأبقى مع تفاصيل القصة،
وسأنتظر عودتي
من رحلة تيهٍ موغلةٍ في الشجن،
وربما أجدني بلا ملامح أو مدى،
وربما أجدني اسماً عابراً
في دفتر مذكراتك اليومية.

خذيني، وانصرفي،
ما عدتُ أميّز بيني،
وبيني.

2

يذهب إليها على جناح الحنين،
يجدها غائبة عن الشوق.

يذهب إليها حالماً بالمواسم اليانعة،
يجدها مسوّرة بالربيع المؤجّل.

يذهب إليها مذخّراً بالذكريات الظامئة،
يجدها مليئة بالنسيان.

يذهب إليها معارضاً لطغيانها،
يجدها ضحية الأقوال الصديقة.

يذهب إليها موالياً لعينيها،
يجدها خارج المدى.

يذهب إليها بحراً من اللهفة
يجدها بلا شواطئ.

3

كان لي شارع باسم «حالة غرام»
داهمته مظاهرة ضد النظام،
فرّت منه الأشواق
وغادرته عصافير القصيدة،
واختفت من نوافذه وردة القلب،
وأغلق بائع الصبر دكّانه،
وهجر العاشق المجنون زاويته المفضّلة،
وانطفأ عمود الإنارة حزناً،
وارتدت البيوت حِدادها،
ومشت فيه الوحشة بزهو وخيلاء،
ووجدت نفسي وحيداً
أذرف حنيني
وأعبر الأيام، تحت وابلٍ من الذكريات.

أخي المواطن..
أختي المواطنة:
بقاء فيروس شلل الأطفال في أي مكان حول العالم يشكل خطراً على الأطفال في كل مكان.. جددوا الوقاية لأطفالكم، حصنوهم لتحموهم.
الحملة الوطنية للتحصين ضد شلل الأطفال
الجولة الثانية(١١-١٣ أغسطس ٢٠١٤م)